التبرير الابيستمولوجي لبحوث المناهج المختلطة
Epistemological Justification of Mixed Methods Research

باديس لونيس *

جامعة باتنة 1 -الجزائر-، badis.lounis@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام 2022/10/04 تاريخ القبول 2022/11/15

الملخص

يهدف هذا المقال إلى البحث في التبريرات الإبيستمولوجية لبحوث المناهج المختلطة، من خلال مناقشة مأزق الجمع التقني بين البحوث الكمية والكيفية، مع ما يخلفه ذلك من تناقضات منطقية. ثم كيفية الخروج من هذا المأزق بالاستناد إلى خلفية فلسفية تتيح مبررات تسمح بتجاوز بعض تلك الخلافات، مع الإبقاء على العلاقة بين ما هو ابيستمولوجي وما هو منهجي.

ولقد تم استعراض ومناقشة أهم تلك المرجعيات الإبيستمولوجية، المتمثلة أساسا في: وما بعد الحداثة، البراغماتية، براديغم التعقيد، والنظرية النقدية عند هابرماس والبراديغم المعرفي. مع تقديم أمثلة واقعية عن كيفية تطبيقها خاصة في مجال علوم الإعلام والاتصال.

الكلمات المفتاحية: بحوث المناهج المختلطة، البراغماتية، براديغم التعقيد، ما بعد الحداثة، نظرية الفعل التواصلي، البراديغم المعرفي.

Abstract*:*

This article aims to investigate the epistemological justifications for mixed Methods research, by discussing the dilemma of the technical combination of quantitative and qualitative research, with its logical contradictions. Then how to get out of this predicament based on a philosophical background that provides justifications that allow some of these differences to be overcome, while maintaining the relationship between what is epistemological and what is systematic.

Additionally, the most important of these epistemological references were reviewed and discussed, mainly represented in: Postmodernism, pragmatism, the paradigm of complexity, the critical theory of Habermas and the cognitive paradigm. Providing real examples of how to apply them, especially in information and Communication Sciences.

Keys Words: Postmodernism, Mixed Methods Research, Ppragmatism, The paradigm of complexity, Theory of Communicative Action, Cognitive paradigm.

مقدّمة:

منذ المقال المبكر الذي نشره كينيث هاوي (Kenneth Howe) سنة 1988 تحت عنوان مثير هو **"ضد أطروحة عدم التوافق بين الكمي والكيفي أو الموت القاسي للدوغمائة"**، والذي جادل فيه الباحث بأنه لا يوجد أي تعارض بين المناهج الكمية والكيفية لا على المستوى الممارسة ولا على مستوى الابيستمولوجيا، لذلك لا توجد حسبه أسباب وجيهة تمنع الباحثين من المضي قدما مع "ما يصلح"[1]. منذ ذلك الحين، دخل الباحثون المهتمون بمنهجية البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مرحلة جديدة من النقاش الأكاديمي وظهرت العدد من الأسماء والبحوث التي انخرطت في هذا النقاش إن كأن ذلك على مستوى الاهتمام **بالبراديغم أو المنهجية وتصميم البحث** كما هو شأن **جونسون وأونويغبوزي** ودراستهما: "بحث المناهج المختلطة: براديغم البحث الذي حان وقته"[2]، و**غَرت بييستا**[3] ومقاله: "البراغماتية والأسس الفلسفية لبث المناهج المختلطة"، وقبل ذلك كينيث الذي عاد سنة 1992 ونشر دراسة أخرى مكملة لمقالته الأولى تحت عنوان "تجاوز النقاش بين الكمي والكيفي"، اقترح فيه نموذج البحث التربوي النقدي كبراديغم بديل[4].

وطبعا لا يمكننا تجاوز اسمين كبيرين أسّسا لهذا التوجّه البحثي بمجموعة من البحوث المهمة هما: **جون كريسوال** الذي ألّف كتابا مرجعيّا تحت عنوان: "تصميم البحث: المقاربات الكيفية والكمية والمختلطة". ظهرت الطبعة الأولى منه سنة 2007. **وديفيد مورغان** الذي نشر في نفس العام مقالا مرجعيا في العدد الأول من مجلة بحوث المناهج المختلطة تحت عنوان: "فقدان البراديغمات وإعادة اكتشاف البراغماتية؛ الانعكاسات المنهجية للجمع بين المناهج الكمية والكيفية"[5]. الباحثان واصلا اهتمامهما بالبحوث المختلطة بمجموعة من المقالات آخرها، مقالين نُشر للباحثين في نفس العدد من مجلة بحوث المناهج المختلطة، فأما الأول مشترك لكريسوال مع ماريكو هيروز تحت عنوان: "تطبيق معيار الجودة الأساسية لبحوث المناج المختلطة بحث على دراسة امبريقية"[6]. وأما الثاني فمقال لمورغان تحت عنون: "من على العربة: المركز والأطراف في بحوث المناهج المختلطة"[7].

إذن، بعدما كان الجدل سابقا يتمحور حول أيّ التيارين أصح وأنسب لدراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية، تحول النقاش منذ ذلك الحين إلى مدى شرعية الجمع بينهما، خاصة في ظل ما تكشف عنه المرجعيات الإبيستمولوجية لكل منهما عن حقيقة وجود الكثير من الثنائيات المتضادة والمتناقضة كإشكالية العلاقة بين الذات العارفة والموضوع، وإشكالية التعميم من عدمه، وإشكالية وجود حقيقة واحدة أو متعددة أو إشكالية التأويل او التفسير، إلخ. ما شكّل مأزقا حقيقيا لا يمكن تجاهله، حتى لو ادّعى البعض ذلك من منطلق الهروب إلى الأمام والتركيز على التطبيقات المنهجية المتنوعة في شكل "إنكار" نفسي ينمّ عن كسل فكري أو ربما ناتج عن نمطية مقلّدة لا يهمها الاشتغال بالأسس

والمبادئ والمنطلقات المنهجية التي تشكّلها بشكل او بأخر الجذور الإبيستمولوجية للعلوم الإنسانية والاجتماعية.

في هذا المقال، لن اتوجّه إلى التطبيقات المنهجية لبحوث المناهج المختلطة، لكني سأحاول استعراض ومناقشة التبريرات الإبيستمولوجية التي تسندها، متبنيا في ذلك وجهة النظر القائلة بأنه لا يمكن فصل الخلفية الإبيستمولوجية عن الاختيارات المنهجية المختلفة، وبالتالي فكما أن البحوث الكمية هي نتيجة منهجية للابستمولوجيا الوضعية مع مختلف براديغماتها المتفرعة منها، وكما أن البحوث الكيفية هي نتيجة منهجية للابستمولوجيا التأويلية بمختلف براديغماتها المتفرعة منها، فإنه لا يمكن تصور أن بحوث المناهج المختلطة مجرد جمع للأساليب الكمية والكيفية دون سند فلسفي ومرجعية ابيستمولوجية تبرّر ذلك. بل إنها نتيجة منطقية لانتشار أفكار فلسفية (ابيستمولوجية خاصة) حاولت تهديم الهوة بين ما هو وضعي وما هو تأويلي، أو ربما حاولت تجاوزهما معا.

أولا/ بحوث المناهج المختلطة ومأزق الجمع بين البحوث الكمية والكيفية:

لقد استمر النقاش بين أصحاب النزعتين؛ الكمية والكيفية لأكثر من قرن من الزمن، وتباين ذلك النقاش بين مناوشات علمية طفيفة إلى صراعات جذرية حادة؛ خاصة حينما تمّ استحضار الابيستمولوجيا كخلفية زادت من إبراز جوانب التناقض بين التيارين. فالوضعية التي تستند إليها البحوث الكمية تنظر إلى علاقة الذات العارفة بالموضوع على أنها موضوعية وأن الظاهرة منجزة. أي أن الحقيقة الاجتماعية لا توجد سوى في حالتها الملموسة والمستقلة على كل رأي أو موقف، وتنتظر أن تُستطلع وتُكتشف. ويُنظر إليها على أساس أنها ذات بنية مغلقة[8].

بينما ينطلق **الاتجاه التأويلي البنائي** الذي تستند إليه البحوث الكيفية، في نظرته إلى الوجود من أن الوقائع المتعددة للوجود الطبيعي تتشكل ضمن سياق التفاعلات الاجتماعية، ولا ترتهن تلك الوقائع إلى أية قوانين طبيعية تحكمها. ويأخذ الاتجاه التأويلي على عاتقه ردم الفجوة بين الذات والموضوع، أو بين الإنسان والواقع، وذلك بتأكيده التشابك الحميم بين الباحث وموضوع بحثه، بحيث تغدو نتائج البحث خلقاً إبداعياً ناتجاً عن عملية الاستقصاء التفاعلية بين الباحث والمبحوث. إن على الباحث ألا يكتفي بوصف الواقع كما هو، بل إن عليه أيضا تأويل ذلك الواقع، وتوظيف جدلية التحليل والنقد بصورة متواصلة، في محاولة منه لتأمين فهم عميق للظاهرة قيد البحث[9].

هذا النقاش أدى إلى بروز تيار ثالث توفيقي. حيث كانت مصطلحات مثل "التثليث" و"دمج المناهج" و"المناهج المتعددة" موجودة منذ فترة طويلة للتصنيف، باستخدام طرق مختلفة لتحليل البيانات في الدراسات الإمبريقية. ومع ذلك، اكتسبت هذه الممارسة زخمًا جديدًا من خلال مسار بحثي ظهر مؤخرًا والذي يهدف صراحة إلى تقديم إطار عمل للجمع بين المناهج. هذا المدخل، الذي يطلق عليه اسم

بحوث المناهج المختلطة (Mixed Methods Research) (MMR)، سرعان ما أصبح شائعًا في العلوم الاجتماعية والسلوكية[10].

تم التوسّع بعد ذلك في مفهوم تعدد المناهج أو التثليث ليشمل طرقا وأساليب متعددة تضع في اعتبارها عوامل التغير عبر **الزمن** فتستخدم التصميمات العرضية والطولية، أو **تعدد الأماكن** التي تعطي مؤشرات للمقارنة بين الثقافات واختبار النظريات والمقولات (...) بالإضافة إلى التعدد في مستويات التحليل، ابتداء بالمستوى الميكرو وهو الفرد حتى المستوى الكلي وهو المجتمع، وكذلك يشمل بالإضافة للفرد تحليل الجماعة ومستوى الوحدات التنظيمية، والمستوى المؤسسي والبيئي والثقافي ثم التحليل المجتمعي الذي يهتم بالعوامل الكلية[11]

ومن المعلوم أن الموقف الذي يرى بعدم وجود مانع، من حيث المبدأ، في الجمع بين النزعتين الكمية والكيفية في المشروع نفسه. يهدف إلى الاستفادة من مزاياهما معا للوصول إلى فهم شامل وحقيقي للظاهرة المدروسة. ويدرك الباحثون الذين يؤمنون بهذه الفكرة وجود خلافات بين المنهجين، لكنهم يدركون أيضا إمكان الانسجام والتوافق بينهما، وذلك من خلال أشكال مختلفة، ومن الأمثلة على ذلك:[12]

- **التثليث المتعاقب للبراديغم:** وهذا يعني إمكان استخدام المنهج الكيفي والكمي معا وعلى التوالي في الدراسة نفسها؛ مثلا عندما يجري الباحث دراسة نوعية أولية لتحديد معايير عينة (تعريفات، فرضيات، مؤشرات...) تلزم لإجراء الدراسة الكمية. وبالمثل، قد يجري الباحث دراسة كمية لتحديد السياق السكاني أو الاجتماعي الذي ستجرى فيه الدراسة النوعية بعمق.
- **التثليث المتزامن للبراديغم:** حيث يستخدم كلا المنهجين، مع التركيز في بعض الحالات على طريقة أكثر من الأخرى.
- **التحوّل من منهج إلى آخر خطوة-خطوة:** هنا تُحول البيانات تدريجيا من الكيفية إلى الكمية، ثم تُصنف وتعطى أرقاما موحدة لتُكمم وتُحلل نوعيا.

ويشدد محمد عبد الحميد على أن تطبيق التكامل المنهجي يحتاج إلى معرفة واسعة ومهارات متعددة للتعامل مع صور التعدد المختلفة وصياغة معالم التكامل، لتحقيق الاستفادة القصوى في إدارة العمل وصياغة النتائج وتفسيرها بما يحقق الصدق والموضوعية إلى حد كبير[13]. ذلك لأن التثليث المنهجي يواجه عددا من المشكلات المرتبطة بتحديد الأولويات في العمل وأسبقيات الأساليب والأدوات بالإضافة إلى تحديد ترتيب الأفكار والمقولات النظرية في علاقتها بأهداف البحث. وتحديد مجالات المقارنة والاتفاق والاختلاف.. وكذلك صياغة معايير المقارنة بين البيانات الكيفية والكمية وطرق القياس ونتائجه[14].

في مقابل الموقف السابق، هناك موقف آخر يعارض عملية الجمع بين النزعتين ويقول بوضوح بعدم انسجام النزعتين الكمية والكيفية؛ لأن مناهج البحث تُعدّ انعكاسات لإدراك الواقع واكتساب المعرفة، وبالتالي فهما مختلفتان اختلاف المبادئ الانطولوجية والإبيستمولوجية التي توجّه كليهما. وتنامى التنافر بين الاتجاهين في سياقات متعددة، لاسيما في الانتقادات المتبادلة بين أتباع المنهجين، حيث يحاول كل فريق إحباط المنهج الآخر واعتباره غير فاعل وأدنى مستوى[15]. فخطاب بحوث المناهج المختلطة، مرتبط أساسا بالموقفين المعرفيين الأكثر أهمية سالفي الذكر: المدخل الوضعي الذي أدى إلى ظهور المناهج الكمية والمدخل البنائي الذي يعد موطنًا للمناهج الكيفية. ولكي تكون مناهج البحوث المختلطة مسعى مجديًا، يجب تحديد الاختلافات بين كلا الشكلين من البحث على أنها قابلة للتوفيق. ويستلزم هذا الموقف التعامل مع أولئك الذين يعتقدون أن الانقسام الكمي / النوعي لا يمكن تجاوزه[16].

ثانيا/ محاولة الخروج من المأزق:

يرى الكثير من الباحثين أن المأزق الابيستمولوجي الناتج عن الجمع بين الكمي والكيفي؛ مأزق وهمي، سببه الأساسي هو مفهوم البراديغم (Paradigm) الذي أتى به توماس كوهن. في كتابه المشهور "بنية الثورات العلمية" الذي ظهرت طبعته الأولى سنة 1962. وبالتالي هناك من دعى إلى إعادة التفكير في مفهومه، وهناك من دعى إلى تجاوزه.

الدعوة إلى إعادة التفكير في البراديغم:

كان كوهن قد أشار في الفصل الخامس الذي اختار له عنوانا لا يحتمل أكثر من تأويل وهو "أسبقية البراديغم"، أشار إلى أن التربية العلمية للباحث في سياق أكاديمي معين تدعونا إلى الافتراض أن البراديغمات إنما توجّه البحث عن طريق النمذجة المباشرة وكذلك من خلال القواعد المجرّدة[17]. كما أن وجود براديغم، وفقًا لكوهن، هو مصدر اليقين فيما يتعلق بتوحيد الممارسات العلمية. هذا هو المعيار الوحيد الصالح لتقرير أن مجموعة البحث تشكل تخصصًا علميًا. ومع ذلك، يمكن للبراديغمات أن توجه البحث حتى في حالة عدم وجود مجموعة شاملة من القواعد المشتركة[18].

أما فيما يتعلق بمفهوم البراديغم فقد أشار كوهن، مستدركا، في حاشية كتابه التي أضافها سنة 1969، وعقَّب فيها على بعض النقاد، أنه استخدم مصطلح البراديغم بمعنيين مختلفين: من الناحية الأولى تم استخدامه باعتباره يحمل مجموعة من المعتقدات والقيم، والتقنيات المشتركة بين أعضاء جماعة معيّنة. ومن ناحية أخرى يُشير إلى الحلول الملموسة للألغاز، التي إذا ما استُخدمت كنماذج أو أمثلة يمكن أن تحل محل القواعد الصريحة الأساسية لحل الألغاز المتبقية في العلم العادي[19].

لكن ذلك لم يشفع له لدى منتقديه، الذين يرون أن البراديغم فكرة ميتافيزيقية أكثر منها فكرة قابلة للتطبيق العلمي كما أنه يتسم بالقصور ولا ينطبق على كل العلوم في كل الحالات، كما ذهب إلى ذلك

روديغر بوبنر على سبيل المثال والذي رأى أن كوهن قد صاغ مفهوم البراديغم على صورة ضيقة بحيث لا يشير إلاّ إلى المعرفة الخلفية التي تقبل التعريف بالنسبة للعلوم المستقرة بالفعل. وهذا بلا شك خيال تأثر سرّا بالمثل الأعلى للعلم؛ إذ لا يكاد يكون ممكنا أن نميز الفروض المسبقة المكونة للعلم العادي في عصر معين بالوضوح الذي تعرف به مفهوم البراديغم وسط ذلك التنوع من العناصر التي يشملها. وهنا يصبح من العسير رسم الحدود الفاصلة لما يتبقى من تيار بأكمله من التراث[20].

أما ديفيد مورغان فقد نبّه في مقاله المنشور في العدد الأول من مجلة بحوث المناهج المختلطة إلى أن توماس كوهن نفسه تمنّى -بعد فوات الأوان- لو أنه استخدم مصطلحًا مختلفًا مثل (مصفوفة الانضباط) (disciplinary matrix) لتلخيص الأشكال المختلفة لالتزامات المجموعة والإجماع، والذي نربطه الآن بالبراديغم. لم يتبنى هو نفسه مصطلح (مصفوفة الانضباط)، وعلى الرغم من أن عمله الأخير كان يميل إلى تجنب الإشارة إلى البراديغمات، فإن هذه الكلمة وكل معانيها المتنوعة أصبحت الآن مفهومًا مركزيًا في العمل الأكاديمي. نتيجة لذلك، من السهل جدًا على علماء الاجتماع التحدث عن "البراديغمات" ويقصدون أشياء مختلفة تمامًا[21]. ويجادل ديفيد مورغان بأن رواد مناهج البحث النوعي استخدموا تأويلا معينًا لمفهوم البراديغم لتوضيح قضيتهم ضد البراديغم المسيطر آنذاك في العلوم الاجتماعية (البراديغم الوضعي). ووفقًا لمورغان، فقد أوّلوا البراديغم بشكل أساسي بمصطلحات **ميتافيزيقية**، مؤكدين على الروابط بين ثالوث الأنطولوجيا والإبيستمولوجيا والميتودولوجيا كما هو مستخدم في فلسفة المعرفة[22].

ويرى مورغان أن بعض الأعمال الرئيسية حول البراديغم (على سبيل المثال، عمل لينكولن وغوبا، 1985) كانت عبارة عن مزيج من المناقشات النظرية حول طبيعة أبحاث العلوم الاجتماعية كمشروع منتِج للمعرفة وإرشادات صريحة حول كيفية إجراء مثل هذا البحث ضمن إطار العمل البنائي. وبعيدًا عن نصيحة "كيف؟" المتعلقة بالبنائية، تم استيعاب البراديغم الميتافيزيقي في الغالب بمناقشات مجردة حول الافتراضات الفلسفية وراء البراديغمات التي تم تحديدها، مع القليل من الاهتمام في المقابل بكيفية تأثير هذه الخيارات على القرارات العملية التي يتخذها الباحثون الفعليون. والغريب حسب مورغان أن حتى لينكولن وغوبا قد أشارا في فقرة في عملهما إلى انهما يستبعدان ان يتفق المنتمون إلى أي براديغم على ما قدماه من ملخص يحدده[23].

ولقد أدى الاهتمام المتزايد بالجمع بين المناهج النوعية والكمية إلى ظهور دعوات لمزيد من الوضوح حول العلاقة بين الالتزامات الفلسفية على مستوى ما يدعى بالبراديغم والإجراءات العملية على مستوى جمع البيانات وتحليلها، وهو ما أثار في مرحلة تالية أسئلة مقلقة حول مدى تأثير الافتراضات الميتافيزيقية في توجيه عملنا. على وجه الخصوص، إذا كان من المفترض أن يوجه البراديغم

الميتافيزيقي العمل في مجال منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، ألا ينبغي إذن أن تترجم هذه الأفكار إلى إرشادات عملية لكيفية اتخاذ قرارات بشأن البحث الفعلي؟[24]

وبعد أن جادل مورغان حول فكرة ميتافيزيقية البراديغم لخص الانحرافات الخطيرة المنجرة عن ذلك، على النحو التالي: [25]

1- على الرغم من تركيز النموذج الميتافيزيقي على الأنطولوجيا، والإبيستمولوجيا، والميتودولوجيا باعتبارها الخصائص المحددة للبراديغمات في بحوث العلوم الاجتماعية، فإن العملية الفعلية لإنشاء هذه البراديغمات ورسم الحدود ببينها، تستند إلى الوقائع التي تقع خارج فلسفة المعرفة.

2- على الرغم من إصرار البراديغم الميتافيزيقي على أن البراديغمات المختلفة تخلق أنواعًا "غير قابلة للقياس" من المعرفة، فإن محاولة استخدام هذه النسخة القوية من عدم القابلية للقياس تفشل بشكل متكرر على كل المستويات باستثناء المناقشات حول طبيعة الواقع والحقيقة.

3- على الرغم من ادعاء البراديغم الميتافيزيقي بأن المشكلات المنهجية في العلوم الاجتماعية يمكن معالجتها من خلال نسخة قائمة من الانطولوجيا من فلسفة المعرفة، يظل نظام الاعتقاد هذا منفصلاً عن القرارات العملية حول الإجراء الفعلي للبحث.

إن الدعوة إلى إعادة التفكير في فكرة البراديغم باعتبارها فكرة ميتافيزيقية تضع حدودا غير واقية بين الممارسات المنهجية لها ما لها من نقاط قوة، لكن على الرغم من كل ذاك، إلا انه لا يمكن ان ننكر أن تكتل الباحثين في أنظمة وأطر ومدارس علمية وفكرية متمايزة، هو السمة الأساسية للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية. تلك المدارس وإن كانت تحمل في داخلها بعض التنوع إلا أن هناك حتما مجموعة من المبادئ والقيم والرؤى المشتركة التي يمكن أن نسمها أي اسم، وليكن "مصفوفة انضباط". ولكنها ستبقى حتما تحيل إلى مفهوم البراديغم بمعناه الكوهني، فلا مفرّ من ذلك. لأن عملية الوسم هذه تساعد بشكل أو بآخر على وضع تصنيفات "إجرائية" تزيد من وضوح الخارطة العلمية في كل تخصص من تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية. قد ينظر البعض إلى تلك الحدود الموضوعة على انها حدود نهائية لا يمكن تجاوزها، وقد يرى البعض على العكس من ذلك أنها حدود وهمية تضع تدرجا (يمكن تشبيهه بالتدرج اللوني) بين هذا البراديغم وذاك.

وبالتالي فإن حسنات البراديغم أكثر من عيوبه، فهو ينظم طريقة النظر إلى العلم من حيث خلفياته الإبيستمولوجية والانطولوجية وصولا إلى ممارساته الميتودولوجية بحيث لا يمكن تصور وجود قطيعة بين الأفكار والأفعال، بين طريقة النظر إلى الظواهر وطريقة الاقتراب منها ودراستها. إن البراديغم هو الطريقة الوحيدة الفعالة حتى نمارس التفكير فيما ندرسه. أن نجمع فلسفة العلم بالعلم.

الدعوة إلى تجاوز البراديغم:

من الواضح أن الداعين إلى تجاوز تام لفكرة البراديغم في بحوث العلوم الاجتماعية والإنسانية هم متأثرين بشكل مباشر أو غير مباشر بفلسفة ما بعد الحداثة. لذلك لكي نفهم أسس هذه الدعوة علينا أن نُذكّر بأهم معالم هذه الفلسفة؛ وتُمثّل نزعة ما بعد الحداثة (Post Modernism) تيارا فلسفيا معاصرا ينتمي إلى النّصف الثاني من القرن الماضي، وهو مصطلح طوّره جان فرونسوا ليوتار (J. F. Lyotard) يتجاوز به ما أطلق عليه "السرديات الكبرى" أو "الانساق الفكرية المغلقة" التي حصر داخلها الدين والفلسفة والأيديولوجيا[26].

ومما لاشكّ فيه أن كتاب (الوضع ما بعد الحداثي) (1979) لجان فرونسوا ليوتار يُعتبر أوّل كتاب فلسفي طرح الأفكار الأساسية لما بعد الحداثة، التي يمكن إجمالها في الإعتراض على مختلف قيم الحداثة، كالتقدم والحرية والعقل والسعادة الفردية والإقرار بفشل مشروع الحداثة الغربية. والدليل على ذلك الحروب التي عرفتها البشرية في العصر الحديث، بحيث تركت الانسان يعيش بلا أوهام او اساطير، أو وفقا لتعبيره من دون نصوص سردية كُبرى أو ميتاسردية. والمقصود بالسرديات الكبرى هو تلك المبادئ الكلية والشاملة التي كانت وظيفتها إعطاء الشرعية على الحداثة، ومنها مبدأ العقل والكلية والكونية والعلم والتقدم[27]. وكان ليوتار قد حلل المعرفة العلمية من منظور تداولي قائم على نظرية الألعاب التي طوّرها الفيلسوف النمساوي الأصل الإنجليزي الثقافة فيتغنشتين، مقدما في الوقت نفسه مقاربة للخطاب قريبة من تلك المقاربة التي أسسها ميشيل فوكو في كتابيه: أركيولوجيا المعرفة ونظام الخطاب، وذلك بحكم مرجعيتهما المتمثّلة في نظرية الألعاب وأفعال الكلام. وبين معالمها الأساسية المتمثّلة في تطبيقاتها العلمية التي أجملها في عبارة التقني-العلمي (Techno-science)، التي يقوم المشروع الحداثي عليها، حيث يفترض سيادة الانسان على الطبيعة، ولكن الذي حدث هو أن الطبيعة أدخلت الاضطراب في الانسان...ليصل ليوتار إلى القول بأن المعرفة لم تعد قادرة على إضفاء الشرعية على نفسها[28].

تحيل فكرة غياب الشرعية في المعرفة العلمية على الفيلسوف النمساوي بول فييرابند الذي دعا إلى مناهضة المنهج باعتباره أساسا للعلم الحديث. ونشر كتابا بعنوان "ضد المنهج" خلص فيه إلى جملة من الأفكار يمكن إيجازها في هذا القول: "إن العلم مجرد مؤسسة فوضوية. وإن كل المناهج لها حدودها، وبالتالي فإن القاعدة الوحيدة الصالحة في مؤسسة فوضوية هي القاعدة التي تقول: كل شيء مقبول" وبالتالي فإن العلم ليس إلا شكلا من أشكال الفكر التي طورها الانسان، وليس بالضرورة الأرقى والأفضل[29]. وكان ليوتار قد ختم كتابه (الوضع ما بعد الحداثي) بمحاولة الإجابة عن سؤال ما بعد الحداثة بقول مجمل خلاصته: "يجب التشكيك في كل ما تلقيناه"[30].

بالإضافة إلى ما سبق، يمكن ايجاز خصائص فلسفة ما بعد الحداثة فيما لي: [31]

-نبذ القول الكلي العقلاني والكشف عن استيهامية فكرتي الأصل والكل الميتافيزيقيتين، فزمن التصورات حول العالم قد مضى، وعصر إنشاء النظريات الكلية وبناء الأنساق الجامعة قد أدبر سيما وقد ظهر "الطابع الإرهابي" لهذه النظريات وانكشفت إرادة القوة التي تحكمها.

-التفكير في انعكاسات تدمير الطبيعة على الحياة البشرية.

-الهجوم على فكرة مركزية الذات.

-لغة الإخفاء والاستعارة بدل الوضوح والتصريح.

-هدم فكرة الفهم التعاقبي للزمن.

-التفكير فيما كان مهمشا من قبل.

-رفض التطابق بين العقل والوجود ونقد العقل كضامن للحقيقة.

استنادا إل ما سبق يمكن أن نفهم ما معنى أن يكون اختيار بحوث المناهج المختلطة منسجما مع الفكر ما بعد الحداثي، حيث يمكن أن تكون فكرة "كل شيء صالح" مدخلا رئيسيا للجمع بين الطريقتين الكمية والكيفية، ما يجعل الطريق الثالث أيضا صحيحا ويصحّ السير فيه للوصول إلى الحقيقة. ثم إن ما بعد الحداثة رفضت فكرة الثنائيات التي تقف على طرفي نقيض من بعض بشكل حاد، وبالتالي فإن (ما كان يبدو متناقضا في الفكر الحداثي؛ الكمي في مقابل الكيفي) يصير أمرا مستساغا بل ومطلوبا منا ان نمحي الحدود الفاصلة بينهما من خلال ممارسة طريقة بحثية يتماهى فيها الكمي مع الكيفي. ويبقى رفض ما بعد الحداثة للسرديات الكبرى (والبراديغم شكل من أشكال هذه السرديات) يدفعنا إلى فكرة رفض المنطلقات الإبيستمولوجية الواقفة وراء كلا النزعتين. لكننا هنا نلحظ أننا بطريقة ما نتبنى براديغم جديد مهما حاول هو نفسه رفض هذا التصنيف. كما يجب الحذر من فكرة نظر ما بعد الحداثة إلى العلم في حد ذاته من حيث هو مؤسسة فاشية يجب تجاوزها. فالاشتغال من داخل العلم استنادا إلى ما ينتقده من الخارج قد يوقعنا في مأزق معرفي حقيقي أعمق.

ثالثا/ الخروج من المأزق:

إذن، فإن الدعوة إلى التوجه بعيدا عن مفهوم البراديغم، لإيجاد تبرير الجمع بين البحوث الكمية والكيفية تبدو غير واقعية، فمصطلح البراديغم وإن كان مفهوما متعدد المعاني. حيث أن ممارسو العلوم الطبيعية وممارسي العلوم الإنسانية والاجتماعية لا يتصوّرون أو يعرّفون مصطلح البراديغم بنفس الطريقة مثلا. إلا أن الحقيقة تبقى أنّ جميع الممارسات العلمية تخضع لمعتقدات وأساطير ومعايير وقواعد تشكل أساس التوافق في مجموعة من الباحثين وتحدد اختيار المشكلات المدروسة والطرق المعتمدة لإيجاد الحلول[32].

لذلك ذهب البعض للبحث عن براديغمات تتيح الخروج من المأزق الابيستمولوجي وتقدم بعض التبريرات في مسار اختيارات الباحث لإجراء بحث يعتمد على مناهج مختلطة بين الكمي والكيفي. ومن بين الباحثين الذين يتمسكون بهذا التوجه، نجد أحد أكثر المهتمين بالكتابة في بحوث المناهج المختلطة الباحث الأمريكي جون كريسوال، الذي يرى أنه على الرغم من ان الأفكار الفلسفية قد لا تظهر إلى حد كثير في البحوث العلمية، إلا انه لا يمكن إنكار تأثيرها على تلك الممارسات البحثية بشكل او بآخر، لذلك فقد اقترح أن يقوم الباحثون الذي يقومن بإعداد خطة بحثية ما بتوضيح الأفكار الفلسفية الأكبر التي يتبنونها كمرجعية، فذلك سيساعدهم في شرح سبب اختيارهم للمناهج الكمية أو الكيفية أو المختلطة لبحوثهم، وقد يتضمن ذلك ما يلي: [33]

- النظرة الفلسفية (المرجعية المعرفية) المقترحة في الدراسة.
- تعريف للأفكار الأساسية لتلك النظرة الفلسفية.
- كيف شكّلت تلك المرجعية مقاربتهم في الدراسة.

ذلك ما ذهب إليه أيضا جونسون وأونويغبوزي، حيث ينطلقان من تعريف براديغم البحث على أنه "مجموعة من المعتقدات والقيم والافتراضات التي يشترك فيها مجتمع من الباحثين فيما يتعلق بطبيعة البحث وإجرائه"[34]، وهو ما يمكن التعبير عنه ببساطة حسبهما بثقافة البحث. لذلك فإنهما يعتقدان أن البحث بالمناهج المختلطة، على غرار البحث الكمي والنوعي، مبني أيضا على معتقدات ومعرفة مشتركة، تجمعها براديغمات معينة.

فيما يلي، سنقدم أهم تلك البراديغمات:

البراغماتية:

تعتبر البراغماتية البراديغم الأكثر تبنّيًا من طرف الكثير من العلماء المهتمين ببحوث المناهج المختلطة[35]. والبراغماتية (Pragmatism) اسم لتقليد فلسفي أسّسه ثلاثة من الفلاسفة الأمريكيين هم تشارلز ساندرس بيرس (1839- 1914)، ووليم جيمس (1842- 1910)، وجون ديوي (1852- 1952). والبراغماتية اسم يُطلق على مجموعة من الفلسفات المختلفة فيما بينها اختلافا يضيق أحيانا ويتّسع أحيانا أخرى، ويضعف تارة ويشتد تارة أخرى، ولكنها مع هذا الاختلاف تشترك في مبدأ عام يعرف باسم القاعدة البراغماتية " pragmatic maxim" ومؤداها أن معنى المفهوم (أو الفكرة) هو النتائج التجريبية أو العملية المترتبة على تطبيقه[36].

البراغماتية اتجاه جديد وقديم في نفس الوقت، حيث انها تشترك مع التجريبية الإنجليزية عند لوك وباركلي وهيوم، في فهم المعرفة الإنسانية استنادا إلى الخبرة الحسية وما تأتي به حواس الانسان من العالم الخارجي، ولكن الجديد الذي جاءت به البراغماتية هو "استبدال النظر إلى المستقبل بالنظر إلى الماضي؛ التجريبية الإنجليزية تلتفت إلى الوراء، إلى الماضي والبراغماتية الامريكية تنظر إلى

الأمام، إلى المستقبل"[37]. ويشير وليم جيمس أن كلمة البراغماتية مشتقة من الأصل اليوناني وهو كلمة براغما (Pragma) وتعني العمل، والتي منها أيضا كلمة (Practice) أي يمارس عملا وحيث تعني كلمة (Practical) عملي. كما يؤكد وليم جيمس أن لتشارلز بيرس الاسبقية في إدخالها إلى الفلسفة عام 1878 في مقالة بعنوان "كيف نجعل أفكارنا واضحة"[38].

في "كيف نجعل أفكارنا واضحة" يهتم بيرس بتوضيح أفكارنا حتى لا تكون عرضة لـ "التضليل" الميتافيزيقي. حيث قال عبارته المشهور: "عير النظر في التأثيرات، التي من المعقول أن تحمل اتجاهات عملية، نتصور الموضوع الذي يجب أن تحمله فكرتنا. ومن ثم فإن تصورنا لها يمثّل كامل تصورنا للموضوع"[39]. إذ يتمثّل هدفه في "النزول إلى ما هو ملموس وعملي، حيث جذور كل تميّز حقيقي للفكر، بغض النّظر عن حذفه؛ لا يوجد تميّز في المعنى مهما يكن دقيقا إلا ويكمن -فحسب- في الاختلاف المحتمل في الممارسة العملية"[40]. وقد عبر بيرس عن هذا المعيار الذي صار يعرف أيضا بالقاعدة البراغماتية في أكثر من موضع في كتاباته مثل مقالته (البراغماتية) المنشورة سنة 1905، حيث يقول: "إذا شئنا أن نكشف معنى تصور عقلي، فلا بد من أن نتأمّل النتائج العملية التي تجوز لنا أن نتصور أنها تنتج بالضرورة من صدق هذا التصور، وسوف يشكّل مجموع هذه النتائج المعنى الكامل للتصور"[41].

من المهم الإشارة إلى ظهور وصعود البراغماتية الجديدة التي يرى ريتشارد رورتي أنها تختلف عن القديمة من ناحيتين؛ الناحية الأولى هي أن البراغماتيون الجدد يتحدثون عن اللغة بدلا من الخبرة والعقل أو الوعي كما فعل البراغماتيون القدامى. وتتمثل الناحية الثانية في أن البراغماتيون الجدد قد قرؤوا جميعا كون (Kuhn) وهانسون (Hanson) وتولمين (Toulmin) وفييرآبند (Feyerabend)، وبالتالي أصبحوا ميالين إلى الشك في مصطلح "المنهج العلمي"[42].

ويؤكد رورتي على أنه يتفق مع غراي (Grey) في أن إحدى مميزات البرغماتية هي تحررها من نظرية الذنب (theory-guilt) أما الميزة الأخرى فهي التحرر من القلق بشأن الطابع العلمي للفرد، لذلك فإنه من روح ديوي القول بأن اختبار قوة وملاءمة أحد العلوم الاجتماعية هو كيفية عمله عند محاولتك تطبيقه[43]. وليس من الصعب الإحساس بروح ما بعد حداثية في هذا الكلام، فلقد حاول ريتشارد رورتي أن يوفّق بين البراغماتية التي ورثها عن أسلافه من الفلاسفة الأمريكيين، وبين أفكار ما بعد الحداثة، مثل استنتاجه على سبيل المثال "أن الاتفاق بين الناس أفضل من معرفة الحقيقة". أو موقفه الذي يقلل فيه من شأن العلم عندما يولي الأولوية لإرادة الانسان وحريته، والتي يضعها في مرتبة أعلى من العلم. وفي مقابل العقل والكفاءة العقلية (وهي مبدأ حداثي بامتياز)، يُعلي من شأن الديمقراطية ويجعلها أكثر أهمية وسبقا[44].

يتساءل مورغان عن سبب حذف البراغماتية باستمرار من قائمة الطرائق التي تم النظر فيها في البراديغمات الميتافيزيقية؟ ثم يجيب أن هناك تفسيرا مباشرا نسبيًا لهذا الاستبعاد، ذلك لأن معظم البراغماتيين يتخذون مقاربة أوسع بكثير تجاه المسألة الميتافيزيقية. فعلى سبيل المثال، كان لدى جيمس وجهة نظر حيادية بشكل أساسي تجاه الميتافيزيقا ككل، بينما أنشأ ديوي نسخة منقحة من الميتافيزيقا ركزت على تجربة أفعال في العالم، بدلاً من وجود عالم خارج تلك التجارب أو تجارب خارج هذا العالم. وهذا يتناقض بشكل حاد مع تأكيد البراديغم "الميتافيزيقي" على طبيعة الواقع وإمكانية الحقيقة الموضوعية. بدلاً من ذلك، ستكون إحدى السمات المميزة للبراغماتية هي التركيز على "ما هو الاختلاف الذي تحدثه" للاعتقاد بشيء مقابل آخر أو التصرف بطريقة دون أخرى. ومن ثم، فإن أوصاف البراغماتية لا تتناسب بسهولة مع نظام منظم حول الافتراضات الأساسية لأساس البراديغم الميتافيزيقي[45].

على عكس البراديغمات الوضعية والتأويلية التي تميل إلى تقديم الابيستمولوجيا على المناهج والتأكيد على القضايا الانطولوجيا عن غيرها، تتسم البراغماتية بأن من شأنها أن تتعامل مع القضايا المتعلقة بالبحث نفسه باعتباره "خط العمل" الرئيسي الذي يجب على علماء المنهج دراسته، مع إيلاء اهتمام متساوٍ لكل من "الضمانات" المعرفية والتقنية التي تؤثر على كيفية إجرائنا لأبحاثنا. على وجه الخصوص، تكريس اهتمام متساوٍ لدراسة العلاقة بين الميتودولوجيا والإبيستمولوجيا والعلاقة بين الميتودولوجيا والمناهج. علاوة على ذلك، نحتاج إلى استخدام الميتودولوجيا لربط القضايا في الابيستمولوجيا بقضايا تصميم البحث، بدلاً من فصل أفكارنا حول طبيعة المعرفة عن جهودنا لإنتاجها. دون إهمال كيفية تأثير وجهات نظرنا على البحث الذي نقوم به[46].

هذا ما حاول مورغان نفسه مناقشة في مقال بعنوان: "البراغماتية كبراديغم في البحث الاجتماعي" أين عاد إلى مقاربة جون ديوي للاستقصاء حيث لاحظ أنه لا توجد عند هذا الأخير حدود حادة فاصلة بين الحياة اليومية والبحث. بدلاً من ذلك، فإن البحث العلمي هو ببساطة شكل من أشكال الاستقصاء يتم إجراؤه بعناية أكبر ووعي ذاتي أكثر من معظم الاستجابات الأخرى للمواقف الإشكالية. ويتضمن منهج ديوي المنهجي للتحقيق خمس خطوات على النحو التالي: [47]

1 .الاعتراف بوضع ما على أنه إشكالية؛

2 .النظر في الاختلاف الذي يحدثه تعريف المشكلة بطريقة دون أخرى؛

3 .تطوير مسار محتمل للعمل كاستجابة للمشكلة.

4 .تقييم الإجراءات المحتملة من حيث عواقبها المحتملة.

5. اتخاذ الإجراءات التي من المحتمل أن تعالج الموقف الإشكالي.

ويلاحظ مورغان أنه بالنسبة إلى ديوي، فإن الذات العارفة والموضوع غير منفصلان، مرتبطان معًا في عملية استقصاء، مع اعتماد متزامن على كل من الاعتقاد والفعل[48].

أما جون وديفيد كريسويل فيوردان مجموعة من النقاط التي تبرر اختيار البراغماتية كخلفية ابيستمولوجية للبحوث المختلطة كما يلي:[49]

- لا تلتزم البراغماتية بأي نظام فلسفي وواقعي، وينطبق هذا على بحث الأساليب المختلطة في أن الباحثين يغترفون بحرية من الافتراضات الكمية والنوعية عند إجرائهم لأبحاثهم.
- للباحثين الأفراد حرية الاختيار؛ بهذه الطريقة، للباحثين الحرية في اختيار أساليب وتقنيات وإجراءات البحث التي تلبي احتياجاتهم وأهدافهم على أفضل وجه.
- البراغماتيون لا يرون العالم كوحدة مطلقة؛ بطريقة مماثلة، يبحث الباحثون في المناهج المختلطة في العديد من الأساليب لجمع البيانات وتحليلها بدلاً من الاشتراك بطريقة واحدة فقط (الكمية أو النوعية).
- الحقيقة تأتي مع الوقت، لا تقوم على ازدواجية بين استقلالية الواقع عن العقل أو داخل العقل. وبالتالي، في بحث الأساليب المختلطة، يستخدم الباحثون البيانات الكمية والنوعية لأنهم يعملون على توفير أفضل فهم لمشكلة البحث.
- ينظر الباحثون البراغماتيون إلى ماذا وكيف يبحثون بناءً على النتائج المستهدفة - إلى أين يريدون الذهاب معها. ويحتاج الباحثون في الأساليب المختلطة إلى تحديد هدف لمزجهم، والأساس المنطقي لأسباب ضرورة خلط البيانات الكمية والكيفية في المقام الأول.
- يتفق البراغماتيون على أن البحث يحدث دائمًا في السياقات الاجتماعية والتاريخية والسياسية وغيرها. بهذه الطريقة، قد تتضمن دراسات الأساليب المنعطف ما بعد الحداثي، بوصفه عدسة نظرية عاكسة للعدالة الاجتماعية والأهداف السياسية.
- لقد آمن البراغماتيون بعالم خارجي مستقل عن العقل بالإضافة إلى ذلك الذي يستقر في العقل. لكنهم يعتقدون أننا بحاجة إلى التوقف عن طرح أسئلة حول الواقع وقوانين الطبيعة. إنهم حسب رورتي "يريدون ببساطة تغيير الموضوع". وبالتالي، بالنسبة للباحث المختلط، فإن البراغماتية تفتح الباب أمام طرق متعددة، ووجهات نظر مختلفة للعالم، وافتراضات مختلفة، وكذلك أشكال مختلفة لجمع البيانات وتحليلها.

ما يجب أن نؤكد عليه في هذا السياق؛ أن البراغماتية هي المظلة الإبيستمولوجية الأساسية التي يمكن الاستناد عليها، ليس فقط على مستوى إجراء مباشر لبحوث المناهج المختلطة، ولكن وأيضا بالنسبة للبراديغمات الأخرى التي تنحى منحى هذه المنهجية، والتي مهما كان تركيزها على تبريرات

ذات خصوصية مميزة لها، إلا أنه لا يمكنها أن تنكر اعتمادها على الفلسفة البراغماتية كأرضية تأسيسية تتكئ عليها بالدرجة الأولى. مثلما تتكئ السلوكية مثلا على الوضعية أو التفاعلية الرمزية على البنائية الاجتماعية.

براديغم التعقيد:

يعود براديغم التعقيد للفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي إدغار موران، والذي يرى أنه يسعى إلى الأخذ في الاعتبار أكبر قدر من المعطيات والمعلومات العينية. ويسعى إلى الاعتراف بالمتنوع والمتغيّر والملتبس والصدفوي واللايقيني واحتسابهم[50]. ويأخذ براديغم التعقيد في الاعتبار كل ما هو موجود من أصغر الأشياء إلى أكبرها فما في ذلك الإنسان باعتباره كائنا معقدا. ومن ثم ينبغي على براديغم التعقيد تجاوز ديكارت وكل مناهج وأدوات العلم الكلاسيكي... كما ينبغي عليه في الوقت آنه أن يدرك أهمية الربط والعلاقات والتمفصلات بين مختلف الأجزاء والعناصر[51].

في حواره جديد مع مجلة العلوم الإنسانية الفرنسية نُشر في سبتمبر 2021، ونشرته مجلة الدوحة مترجما، تحدث إدغار موران عن تجاهل النقاد لكتابه الأول حول "الانسان والموت" (l'homme et la mort) الذي صدر سنة 1951. رغم أنه دشَّن نمطاً للمعرفة عابراً للتخصُّصات، إذ لا أحد كان قد عالج لحدود ذلك التاريخ المواقف الإنسانية قبالة الموت من خلال الربط بين السيكولوجيا والسوسيولوجيا؛ وعند اشتغاله على هذا الكتاب ربط بتلقائية بين الدين والتحليل النفسي والبيولوجيا...مشيرا إلى أن ما ساعده على ذلك بشكلٍ كبير في تلك الحقبة هو إرث الفلسفة الديالكتيكية، الذي أتاح له مواجهة التناقضات الظاهرية لمُختلف ميادين المعرفة، وذاك هو ما أسماه بالفكر المُركَّب.

فيما بعد يقول موران: "لمَّا انطلقتُ، بالمُقابل، في تأليف كتاب المنهج، غالباً ما كان يُنْظَرُ إليّ بغير قليل من الارتياح من طرف بعض ممتلكي ميادين المعارف؛ فقد استنكروا ما أقوم به بحجة انعدام كفاءتي أو كوني مُبسِّطاً بصورة مفرطة في التَّعميم، بينما كنت في واقع الأمر أعيدُ تأويل المعارف المُشتَّتة والربط بينها بَانياً منهجاً لأجل دراسة صور التعقيد وأوجه التركيب، وهو ما يُظهِرُهُ الاتجاه الذي تطوَّر فيه إنتاج المعرفة، ومما يُؤسفُ له هو أننا في الوقت الذي حاولنا فيه تطوير التفاعل بين التخصُّصات، تطوَّر أيضاً الاتجاه نحو المزيد من التخصُّص الفائق، بحيث أنجب كل تخصُّص من رحِمِه تخصُّصاتٍ فرعيةً أخرى، إلى حد صارت معه ميادين البحث العلمي دقيقة جداً[52].

لذلك يضيف موران، فإن التفاعل بين التَّخصُّصات يظل اليوم سطحياً، مع انغلاق هذه التخصُّصات على نفسها، لكن كل إجابة عن مشكلة مهمّة، يتعذَّر بلوغُها، بنظري، ما لم يتم الربط بين المعارف المُجزَّأة والمُتشدِّرة، ولأن الظواهر تترابط فيما بينها بما لا عَدَّ له ولا حصْرَ من التفاعلات والإرجاعات، فإنّ تجزئة المعارف تحول دون إدراك هذه الروابط؛ لأن معرفة الكل تعود إلى معرفة أجزائه وعناصره المُكوِّنة، فضلاً عن أن الكائن الحي لا يمكن فصلُهُ عن سياقه، لأنه تابع لبيئته ومتوقف عليها، لذلك

فإن معرفة الكائن الإنسان بصورة أفضل تقتضي ضرورةَ ربط العلوم الإنسانية والبيولوجيا، وحتى الكوسمولوجيا ما دمنا نتكوَّنُ من المادة الفيزيائية، فالكائن الإنساني، بنظري، يتحدَّد ويُعرَّفُ بثلاثة أبعادَ يتعذَّر الفصل بينها: النوع، المُجتمع والفرد، وهي الأبعاد التي يجبُ فهمُها مجتمعةً. أمَّا إخفاء صور التعقيد فلا يمكنه إلّا أن يقود إلى الخطأ رأسا"[53].

ويبدو أن الحاجة إلى التعقيد كمقاربة في إطار البحوث المختلطة، يفرضها عصر الهجانة في بوتقة واحدة تعبر عنها عوامل (noosphere)، وسواء اعتبر التعقيد نظرية أو فلسفة أو علما قائما بذاته، فهو مجال بحثي عابر للتخصصات، متعددة التخصصات، يظم طيفا واسعا منها، إذ يمكن أن يعثر المرء على أعمال فلاسفة وفيزيائيين وخبراء كمبيوتر وعلماء اجتماع، فضلا عن باحثي العلاقات الدولية، وعلماء الأحياء والرياضيات والطقس، هذه الطبيعة العابرة للتخصصات/ المتعددة التخصصات تضع الباحث أمام تحدّ، وفي نفس الوقت تخلق فرصة عبور الحدود التي تفصل بين حقوق المعرفة، وبين التقاليد البحثية أو البراديغمات ضمن الحقل المعرفي نفسه، إنها بحسب إيميليان كافالسكي حركة "تلاقح" دؤوبة بين العلوم الطبيعية والاجتماعية[54].

ويعتبر التفكير المنهجي تفكيرا معقدا بامتياز؛ إذ يشير إلى ذلك التفكير النقدي المبدع على حد تعبير إدغار موران الذي يمكّن الباحث من تجاوز عائق الاختزال (اختزال الكل في مجموع أجزائه: نسبة للمبدأ الجشتالتي القائل بأن الكل لا يساوي مجموع أجزائه) وعائق التجزئة، ويمكنه أيضا من الإفلات من قبضة التخصص الضيق كنسق معرفي مغلق ومحدود. وعلى هذا الأساس، فإذا كان طابع التعقيد يفرض علينا باستمرار مساءلة الظواهر الاجتماعية؛ فإنه يفرض علينا أكثر وبصورة ملحّة مساءلة الكيفيات التي نعالج بها هذه الظواهر والإشكاليات المرتبطة بها[55].

إن الانطلاق من براديغم التعقيد لإجراء بحث مختلط المناهج لا يبدو بالسهولة التي قد نعتقد، إذ انه يحيلنا إلى دراسة متعددة المستويات وعابرة للتخصصات، وهو بذلك قد يطرح إشكاليات متعددة كذلك تمس ما مدى تجانس وتكامل وشمولية العناصر المدروسة ومن ثم جدوى الأدوات الموظفة. وفضلا عن ذلك فإن البراديغم يتطلب توفر مهارات متعددة وسعة في الاطلاع تتعدى تخصص الباحث. ورغم أن التجاسر أو التحاقل بين التخصصات المتعددة يدفع إلى التفاؤل بالوصول إلى حقيقة أشمل في البحوث الاجتماعية والإنسانية إلا أن الواقع يقول أن العلم قد ذهب بعيدا في تجزئة المجزأ بحيث جعل من فكرة النظر إلى الظاهر بشموليتها أمرا ليس باليسير أبدا.

نظرية هابرماس؛ الفعل التواصلي:

يُعرف يورغن هابرماس على نطاق واسع بأنه أحد أعظم الفلاسفة في النظرية النقدية الممثّلة في مدرسة فرانكفورت. مَثّل الجيل الثاني لها بعد الجيل الأول؛ ماركيوز، أدورنو، هوركايمر وغيرهم. وتمحور مشروعه في تطوير النظرية النقدية من خلال نظرية الفعل التواصلي.

وفي ذلك كان هابرماس على وعي بأن النظرية النقدية للمجتمع ولمجموع المعارف التي تُصاحبها لا تكون لها فرضية إبراز شرعيتها وخصوبتها إلا عندما تدمج أنواعا أخرى من المعارف وعندما تتحاور معها. وعلى هذا النحو نجد التحليل النفسي مثلا، الذي لا يعتبره هوركايمر سوى نوع من المساعد النفسي الاجتماعي الذي يمكن أن يُلاءَم مع المبادئ المادية التاريخية، قد ارتقى إلى مستوى النموذج الابيستمولوجي بامتياز[56].

في السيتينيات من القرن الماضي طوّر هابرماس، من خلال تجذيره لموقف هوركايمر، الفرضية التي ترى أنّه لا يمكن للفلسفة الإبقاء على زعمها بالتفكير في الحاضر إلا إذا حددت لنفسها كمهمة استخلاص شروط إمكانية معرفة هذا الأخير، بغية تقبل كل الافتراضات وتفسير الأسس[57]. وإن كان هابرماس قد أطال انخراطه النقدي مع ماركس وإرثه الفكري في الستينيات والسبعينيات، إلا أنه شرع في دراسة تطور البِنى المعيارية، وتطوُّر الوعي الأخلاقي كتتمَّة وتصحيح للفكر الماركسي، الذي كان مشغولًا أكثر من اللازم بتطوير أنماط الإنتاج. ولقد أعطاه ذلك مفهومًا أكثر ثراءً بالروابط الاجتماعية والإنسانية مقارنة بما أتاحته عادةً النظريات الماركسية. أما التطور الثاني لفكر هابرماس فيتمثّل في أنه أمسى مهتمًّا بمنهج البراغماتية الامريكية التي اشتركت والتأويلية الألمانية، في فرضية مهمة، وهي أن الفلسفة يجب أن تجد لها مستقرًّا في الحياة اليومية وتحافظ على رابطها بها. ويتعين أن تؤتي النظريات والمفاهيم الفلسفية ثمارها بإحداثها فارقًا في حياة أناس حقيقيين وتجربتهم في عالم الواقع[58].

إلى جانب نقده لماركس وانغماسه في التأويلية والبراغماتية، قَدَّمَ هابرماس نقدًا للتكنولوجيا والعلم والأساليب العلمية والوضعية في التفكير. ورغم ميله إلى الوضعية المنطقية عند مدرسة فيينا بقدر أكبر من أدورنو وهوركهايمر، ظل هابرماس منتقدًا لوجهة النظر القائلة بأن المعرفة كلها، ولا سيما معرفة العالم الاجتماعي، يجب أن تتسق وقوانينَ العلوم الطبيعية. وفي نهاية المطاف، استحدث هابرماس وجهة النظر القائلة بأن الأنواع المختلفة للمعرفة — النظرية والعملية والنقدية — تتشكل في سياق أُطُر مختلفة، وتخدم مصالح بشرية مختلفة. فالمعرفة النظرية تستند إلى اهتمام البشر بالسيطرة التقنية على الطبيعة؛ أما المعرفة العملية والأخلاقية فترتكز على اهتمام البشر بفهم بعضهم بعضًا؛ بينما تستند النظرية الاجتماعية النقدية والتحليل النفساني على الترتيب إلى الاهتمام الجمعي والفردي بالتحرر، وبالتحلل من الأوهام، وبالاستقلالية، وتحقيق الحياة الصالحة[59].

وتقوم نظرية هابرماس التي تستند إلى ما سماه بالبراغماتية العالمية (Universal Pragmatics) على تحديد وإعادة بناء الظروف العالمية التي تمكّن من تحقيق الفهم. ويتعلق الامر بالمقدّمات العامة التي تخصّ فعل الاتصال إذ أن هابرماس يتّخذ من الفعل الموجّه نحو تحقيق الفهم أساس نظريته ويجعل من الأفعال الاتصالية الأخرى اشتقاقات الفعل الاول[60]. ويمثل مفهوم الفعل التواصلي كما حدده

هابرماس نفسه في تصديره للكتاب الذي يحمل نفس العنوان مدخلًا لثلاثة موضوعات متشابكة؛ أولًا: مفهوم العقلانية التواصلية الذي هو ذو طابع شكي، وإن كان في نفس الوقت يقاوم الاقتصار على معالجة العقل من الناحية المعرفية معالجة أداتية. ثانيًا: مفهوم ثنائي المستوى عن المجتمع يربط بن العالم المعيش ونماذج المنظومات (أو المؤسسات) في شكل ليس إنشائيًا فحسب. ثالثًا وأخيرًا: نظرية عن الحداثة تفسر نمط الأمراض الاجتماعية المتزايدة في عصرنا الحديث . والمقصود — إذن — بنظرية الفعل التواصلي هو وضع سياق الحياة الاجتماعية التي نجمت عن مفارقات الحداثة في إطار تصوري عقلي أو مفهومي، ومعنى هذا بعبارة أخرى أن هابرماس أراد إحكام البناء التصوري العقلي للبناءات الاجتماعية التي يتم فيها التواصل[61].

تضع نظرية هابرماس الابيستمولوجيا في جوهر اهتمامها. وهي فضلا عن أنها تدرس طبيعة المعرفة ومصدرها ونطاقها وموثوقيتها، فإن الابيستمولوجيا النقدية. تتناول أيضًا أسئلة المعنى والفهم والحقيقة والقوة[62]. ولا يتولد الفهم والحقيقة من الإدراك البصري أو الكلام، ولكن من الإجراءات التواصلية، وهي عمليات "الوصول إلى التفاهم بين أعضاء العالم الحي". ولا تختلف هذه الإجراءات التواصلية عن التفاعلات البشرية في حياتنا اليومية[63].

أشار هايينغ لونغ في دراسة تحت عنوان: "صلاحية بحوث المناهج المختلطة في التعليم: تطبيق النظرية النقدية لهابرماس، إلى أن هذا الأخير قد اقترح أن التذاوت يساهم في عملية الوصول إلى التفاهم، أو بشكل أكثر تحديدًا، لا يتم التوصل إلى الاتفاق إلا عندما يتم الحصول على معرفة مشتركة بالموقف بين جميع المشاركين. ولا يمكن لأي اتفاق تم التوصل إليه بشكل تواصلي "أن يفرضه أي من الطرفين، سواء بشكل فعال من خلال التدخل في الموقف بشكل مباشر أو استراتيجي من خلال التأثير على قرارات المعارضين". فالاتفاق الحقيقي، بحسب هابرماس، "يرتكز على قناعات مشتركة"[64].

إن هذا الموقف (الابيستمولوجي) هو بمثابة حلّ مقترح لأهم مشكلة واجهت البحوث المختلطة وهي العلاقة بين الذات العارفة والموضوع؛ إن كانت ذاتية أم موضوعية. ويميل إلى هذا الاقتراح كل من جونسون وأونويغبوزي اللذان يذكران أن محكمي جودة البحث سيكونون هم أصحاب المصلحة في البحث، مما يعني أنه يمكن أن تأخذ مسألة الجودة أو الصلاحية عناصر التأثير المتمثلة في الذاتية والموضوعية والتذاوتية. وهو نفس ما ذهب إليه مورغان الذي لاحظ أن فهم البينذاتية (التذاوت) تساعد في حل مشكلة عدم القابلية للقياس في الجمع بين البحث الكمي والنوعي. ووافقه على ذلك بييستا (Biesta) الذي اقترح البينذاتية (التذاوت) (intersubjectivity) كبديل للتصنيف ثنائي التفرع للذاتية والموضوعية[65].

يمكن أيضا الاستفادة من نظرية هابرماس حول الفعل التواصل من حيث تقسيمه للعوالم التي تشكل مرجعية فلأفعلا الكلام، إذ ينطلق هابرماس أولا في تعريف الاتصال على أنه عرض لغوي للإشارات والرموز التي تمثل نية ومعنى الفاعل. ومن أجل أن يفهم الفاعلون تلك العلامات والرموز، يجب أن يكونوا قادرين على الحصول على إشارات مرجعية مشتركة. شرح هابرماس هذه الإشارات من منظور العلاقة بين أفعال الكلام وثلاثة عوالم رسمية. حيث تتألف أفعال الكلام من أقوال تحتوي على ادعاءات صحة بالإشارة إلى ثلاثة "عوالم شكلية":

- موضوعي: الأشياء والأحداث الموجودة التي يمكن لجميع الناس الوصول إليها مباشرة من خلال الحواس؛
- ذاتي: الحالات الذهنية والمشاعر الموجودة، والتي لا يملك سوى جهة فاعلة واحدة وصول مباشر إليها أو امتياز الوصول إليها؛
- المعيارية : التوافقات الموجودة بشأن الصواب والصلاح وملاءمة النشاط الذي يوجد وصول مشترك إليه، ولكن ليس من خلال الحواس.[66]

هذا التقسيم يقودنا للإشارة **البنية المزدوجة لاتصالات الباحث** كما يلي:

أ) مستوى التذاوت الذي يقوم عليه المتحدث والمستمع، من خلال الأفعال الإنشائية، بتأسيس العلاقات التي تسمح لهما بالتوصل إلى تفاهم مع بعضهما البعض؛

ب) مستوى الخبرات والأوضاع التي يريدون الوصول إلى فهم بشأنها في الوظيفة التواصلية التي تحددها النقطة (أ).

وكما يشرح ماكارثي (McCarthy)؛[67] فبما أن الكلام هو الوسيلة المميزة والشائعة للحياة على المستوى البشري، فإن نظرية الاتصال هي الدراسة التأسيسية للعلوم الإنسانية؛ تكشف عن البنية التحتية الشاملة للحياة الاجتماعية والثقافية ". وهكذا، فإن الأسس التي تدعم الثنائيات التقليدية التي يتم وضع نقاش (الكمي/ الكيفي) حولها تبدأ في الانهيار. حيث لا يمكن للباحث الكمي الأكثر تركيزًا على الموضوعية أن يفلت من الذاتية، تمامًا مثل الباحث الأكثر تركيزًا على الذات. بمعنى، أن جميع أبحاث العلوم الاجتماعية، مختلطة بالفعل على مستوى ما.

البراديغم المعرفي:

على الرغم من المحاولات المبكّرة لدراسة وتعريف الحياة العقلية الذهنية، فإن علم النفس، ولاسيما علم النفس الأمريكي تبنى في البداية التقليد السلوكي خلال العقود الخمس الأولى من القرن العشرين. لكن منذ الحرب العالمية الثانية اجتمع عدد من الباحثين لإنتاج ما يعتقده العديد من علماء النفس على أنه "ثورة في مجال علم النفس المعرفي. هذه الثورة المعرفية جاءت نتيجة لسلسلة من

البحوث النفسية الرافضة أساسا للافتراض السلوكي القائل بأن الاحداث والحالات الذهنية خارج نطاق الدراسة العلمية أو أن التمثلات الذهنية غير موجودة [68].

وما إن حلت سنوات السبعينيات، حتى بدأ الباحثون في مختلف المجالات يلاحظون أنهم كانوا يحققون في الأسئلة الشائعة: طبيعة العقل والإدراك وكيف يتم الحصول على المعلومات ومعالجتها وتخزينها ونقلها؛ وكيف يتم تمثيل المعرفة. لقد اجتمع علماء من مجالات عدة مثل علم النفس المعرفي وعلوم الكمبيوتر والفلسفة واللغويات وعلم الأعصاب والأنثروبولوجيا، إدراكًا لمصالحهم المشتركة، لتأسيس مجال متعدد التخصصات يُعرف باسم العلوم المعرفية. لكن غاردنر Gardner (1985) أعطى هذا المجال تاريخ ميلاد محدد هو 11 سبتمبر 1956 - عندما حضر العديد من مؤسسي هذا المجال ندوة حول نظرية المعلومات في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) [69].

وتؤكد كاثرين غولوتي ان البراديغم المعرفي قد تأثر بشكل أو بآخر بمدارس مختلفة تتمثّل أساسا في: البنيوية، الوظيفية، السلوكية والجشطالتية التي قامت بتأطير الأسئلة المعرفية (cognitive questions) [70]. وعلى الرغم من أن البراديغم المعرفي يفضل التفكير في المعرفة العلمية على أنها "موضوعية" لإزالة أي تشويش أو تشويه "شخصي" قد يفسد الإدراك، إلا أنه من المدهش أنه يرى بإمكانية اكتساب الموضوعية باستخدام طريقة تضخيم "الذاتية". إذ يوفر المنظور بالفعل وجهة نظر معينة على المشهد، ولكنه يسمح أيضًا، من حيث المبدأ، بإعادة بناء وجهة النظر التي يمكن أن يمتلكها المرء من أي وجهة نظر أخرى. يحافظ المنظور على المعلومات الأساسية بطريقة تسمح باشتقاق وجهات النظر المحتملة الأخرى[71].

مع العلم أن البراديغم المعرفي لا يمكن تطبيقه إلا إذا تم قبول الطابع الديناميكي للمخططات المعرفية. خلاف ذلك فإننا نحبس الموضوع في نفسه ما يجعله غير قادر على رؤية أكثر مما يعرف. كيف نضمن أن المخططات المعرفية تستوعب الممكن وتحتفظ ببنية مفتوحة؟ قد يكون تعدد وجهات النظر حول العالم وإعادة التركيب جزءًا من الإجابة ولكنه لا يوفر آلية لتوليد كل الاحتمالات في الطريقة التي يسمح بها المنظور بمواصفاتها. من بين الذين درسوا المعرفة، بياجيه (Piaget) الذي واجه مسألة العلاقة بين الذاتي والممكن في مقاربة تكوينية ضخمة. إن روايته لنمو المعرفة هي محاولة مثيرة للفضول لربط المنظور بالمعنى الأضعف للبراديغم أو رؤية العالم مع المنظور بالمعنى الأقوى للحفظ المتناسق لجميع الآراء الممكنة[72].

إن الطبيعة العابرة للتخصصات التي تميز البراديغم المعرفي جعلت العلماء والباحثين المنضوين تحت لوائه يستخدمون طرقا وأساليب متعددة ومتنوعة بين ما هو كمي وما هو كيفي؛ مثل **الملاحظة** لرؤية كيف تعمل العمليات المعرفية في البيئات الطبيعية: مدى مرونتها، وكيف تتأثر بالتغيرات البيئية، ومدى ثراء وتعقيد السلوك الفعلي. من السهل نسبيًا القيام بالمراقبة[73]. كما تمّ توظيف **الاستبطان** المستمد

من التحليل النفسي؛ حيث يمكن للفرد ملاحظة ردود أفعاله وسلوكه ما يعطي رؤية أفضل للتجربة والعوامل التي أثرت فيها، مما ينتج عنه صورة أكثر ثراءً وشمولية مما يمكن أن يلاحظه شخص خارجي. رغم ما قد يخلفه ذلك من تحيّز إدراكي[74]. تم توظيف **المقابلات السريرية** أيضا، أين يحاول الباحث توجيه العملية بشكل أكبر. واعتمادًا على ردود المشاركين، قد يتابع القائم بإجراء المقابلة إحدى خطوط الاستجواب المحتملة العديدة، في محاولة لمتابعة تفكير وخبرة كل مشارك مع التركيز على قضايا أو أسئلة محددة[75]. من الأساليب المستخدمة أيضا، نجد **التجارب وشبه التجارب،** لدراسة بعض العلاقات السببية؛ كأن تتم دراسة الذاكرة، وتأثير بعض العوامل والمتغيرات الأخرى فيها[76]. كما تمت الاستفادة أيضا من دراسات علم الاعصاب فيما صار يعرف بعلم النفس المعرفي-العصبي (cognitive neuropsychology) أين يتم استغلال التطور الكبير في لتصوير الدماغ، وبناء صور لتشريح وعمل الأدمغة[77].

من المقاربات المسيطرة في هذا البراديغم، ما يعرف بمقاربة معالجة المعلومات والتي ظهرت منذ الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي ولا تزال قوية ومؤثرة حتى يومنا هذا. وكما يوحي اسمها، فإن هذه المقاربة ترسم تشابهًا بين الإدراك البشري والمعالجة المحوسبة للمعلومات. حيث يمكن اعتبار الإدراك: معلومات (ما نراه أو نسمعه أو نقرأ عنه أو نفكر فيه) تعبُرُنا عبر نظام (أو تعبر عقولنا بشكل أكثر تحديدًا) [78].

ومن المساهمات النظرية المتأثرة بهذا البراديغم نجد نظرية النمذجة، وتسمى أيضا بنظرية التعلم بالملاحظة. أو التعلم من خلال المحاكاة (Social Learning Through Imitation)، قدمها ألبرت باندورا (A. Bandura) وزملاؤه في أعمالهم التي بدأت منذ بداية الستينات[79]. وتناولت هذه النظرية بالتحديد ملاحظة سلوك الآخرين والمحاكاة واعتبارهم نماذج أو قدوة للسلوك المكتسب أو الاقتداء بالنماذج (النمذجة) حيث يمكن أن يكون لذلك تأثيرا كبيرا في اكتساب الأنماط السلوكية شأنها شأن الخبرة المباشرة للفرد في المواقف المختلفة... ويهتم أصحاب نظريات التعلّم بتحليل السلوك في إطار ما تعلمه الفرد في الماضي ومن خلال ميكانيزمات عملية التعلم، ويفترض أن إعادة تقديم ما تعلّمه الفرد بنفس الظروف التي تعلّم فيها سوف يؤدّي إلى نفس الاستجابة. فالسلوك طبقا لهذه النظريات قد تحوّل إلى استجابة معتادة لمنبه او مثير معين. ويقل اهتمامهم بالعمليات الإدراكية المعقدة التي يقوم بها العقل ويركّزون على الفرد كوجود يستجيب بطريقة أوتوماتيكية لأي مثير تعود الاستجابة إليه[80]. طور باندورا هذه النظرية سنة 1986، حين نشر كتابه (Social foundations of thought and action: A social cognitive theory) [81]، حيث قدم في هذا الكتاب نظرية شاملة للدوافع البشرية والعمل من منظور إدراكي اجتماعي. إنه يتعامل مع الأدوار البارزة التي تلعبها العمليات المعرفية، والإنابة، والتأمل الذاتي، والتنظيم الذاتي في الأداء النفسي والاجتماعي. وتم تنظيم الكتاب للتأكيد

على العلاقة السببية المتبادلة من خلال تفاعل العوامل المعرفية والسلوكية والبيئية. طبق ألبرت باندورا بشكل منهجي هذه النظرية المعرفية الاجتماعية على التغيير الشخصي والاجتماعي. وأكد باندورا توجهه الجديد سنة 1991، عندما نشر فصلا تحت عنوان: "النظرية المعرفية الاجتماعية للفكر الأخلاقي والفعل"[82] ضمن كتاب أشرف عليه هو نفسه.

الخاتمة

في الختام لم يبق لنا إلا التأكيد على مجموع النقاط التالية:

- بحوث المناهج المختلطة لم تأتي لتنه الجدل بين النزعتين الكمية والكيفية، كما أنه لا يصحّ التصور بأنها صارت تمثّل بديلا منهجيا نهائيا لهما، إنّ ما صار عليه المشهد البحثي أننا أصبحنا أمام ثلاث خيارات منهجية تتأسس كل منها على نظرتنا إلى العالم وكيف يمكن ان نقارب من خلالها ما ندرسه من ظواهر.
- إن بحوث المناهج المختلطة مثلها مثل البحوث الكمية والكيفية؛ لا يمكن بأي حال من الأحوال عزلها وفصلها عن الخلفية الإبيستمولوجية، فطريقة النظر إلى الظاهرة واكتساب المعرفة وجدواها وماهية الحقيقة والعلاقة بين الذات العارفة والموضوع، مرتبط بالمنهج المناسب والمنسجم معها.
- تُعتبر البراغماتية براديغما مثاليا لتقديم تبرير ابيستمولوجي مناسب لأنصار بحوث المناهج المختلطة.
- إضافة إلى البراغماتية التي تمثل خلفية فلسفية توجه الاهتمام إلى النتائج المفيدة للممارسات المنهجية، هناك براديغمات تشجع هذا التوجه، مع وجود خصوصية مميزة لكل منها، كبراديغم التعقيد لإدغار موران، ونظرية الفعل التواصلي ليورغن هابرماس، والبراديغم المعرفي ذو المرجعية البسيكولوجية.

الهوامش:

1 -Howe, K, (1988), Against the quantitative-qualitative incompatibility thesis or dogmas die hard, Educational Researcher, 8, pp. 10-16, Retrieved 8 10, 2022, from: https://journals.sagepub.com/doi/10.3102/0013189X017008010, p. 10.

2 - Johnson, B & Onwuegbuzie, A, (2004, October), Mixed Methods Research: A Research Paradigm Whose Time Has Come, Educational Researcher, 7, pp. 14-26, from: https://journals.sagepub.com/doi/10.3102/0013189X033007014.

3 - Biesta, G. (2010), Pragmatism and the Philosophical Foundations of Mixed Methods Research. In A. Tashakkori, & C. Teddlie, Mixed Methods in Social and Behavioral Research, Sage

Publications, California, Retrieved 8 20, 2022, From: https://methods.sagepub.com/book/sage-handbook-of-mixed-methods-social-behavioral-research-2e/n4.xml
4 - Howe, K. (1992). Getting over the quantitative-qualitative debate. American Journal of Education, 2, pp. 236-256, Retrieved 8 20, 2022, from http://www.journals.uchicago.edu/AJE/home.html
5 - Morgan, D. (2007), Paradigms Lost and Pragmatism Regained: Methodological Implications of Combining Qualitative and Quantitative Methods, Journal of Mixed Methods Research, Volume 1, Issue 1, Retrieved 7 28, 2022, from: https://journals.sagepub.com/doi/abs/10.1177/2345678906292462?journalCode=mmra.
6 - Hirose, M, & Creswell, J, (2022, May 2). Applying Core Quality Criteria of Mixed Methods Research to an Empirical Study, Journal of Mixed Methods Research, doi:https://doi.org/10.1177/15586898221086346.
7 - Morgan, D. (2022, May 2). Who Is on the Bandwagon? Core and Periphery in Mixed Methods Research, Journal of Mixed Methods Research. doi:https://doi.org/10.1177/15586898221096319
8 - لعياضي، نصرالدين. (2020). البحوث الكيفية في علوم الإعلام والاتصال: إضاءات نظرية ومسالك تطبيقية، مجلة الباحث الإعلامي، ع 5، ص 104.
9- سليمان، خالد محمد، (سبتمبر، 2003)، المناهج النوعية والكمية: قراءة أولية في المنطلقات المعرفية. إسلامية المعرفة، ع 33-34، ص 196.
10- Timans, R, Paul , W, & Johan, H, (2019, 3 29). Mixed methods research: what it is and what it could be. Retrieved 7 28, 2022, from springer: https://link.springer.com/article/10.1007/s11186-019-09345-5.
11 - عبدالحميد، محمد، (2004)، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، دار الكتب، مصر، ص 308.
12 - سوتيريوس، سارانتاكوس، (2017)، البحث الاجتماعي، ترجمة فارع شحدة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ص 130.
13 - عبد الحميد، محمد، مرجع سابق، ص 308.
14 - المرجع نفسه، ص 308.
15 - سارانتاكوس، مرجع سابق، ص129.
16 - Timans, Paul , & Johan, Op. cit.
17 - Thomas S. Kuhn, (1996), The Structure of Scientific Revolutions, Third Edition, University of Chicago Press, USA, p. 47.
18 - Gilles Willett, (1996), Paradigme, théorie, modèle, schéma : qu'est-ce donc ?, Communication et organisation,10, mis en ligne le 26 mars 2012, consulté le 27 septembre 2022, URL : http://journals.openedition.org/communicationorganisation/1873
19 - Thomas S. Kuhn, Op. cit, p. 175.
20 - روديغر ، بوبنر، (2019)، الفلسفة الألمانية الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، دار أقلام عربية، مصر، ص 176.
21 - Morgan, Paradigms Lost and Pragmatism Regained: Methodological Implications of Combining Qualitative and Quantitative Methods, Op. cit, p. 50.
22- Ibid, p. 57.
23 - Ibid, p. 63.

24 - Ibid, p. 64.
25 - Ibid, p. 64-65.
26 - مجدي، عبدالحافظ، (2012). موقع العقل في فلسفات ما بعد الحداثة. مجلة عالم الفكر، مج 41، ع 2، ص 141.
27 - بغورة، الزواوي، (2012)، الفكر الأخلاقي لما بعد الحداثة، مجلة عالم الفكر، ، مج 41، ع 2، ص 93.
28 - المرجع نفسه، ص 94.
29 - المرجع نفسه، ص 94.
30 - المرجع نفسه، ص 96.
31 - دبابي، مديحة، (2013)، ما بعد الحداثة. تأليف مجموعة مؤلفين، خطابات الـ ما بعد (في استنفاد أو تعديل المشروعات الفلسفية). منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، الجزائر- لبنان، ص 134.
32 - Gilles Willett, Paradigme, théorie, modèle, schéma : qu’est-ce donc ?, Communication et organisation [En ligne], 10 | 1996, mis en ligne le 26 mars 2012, consulté le 27 septembre 2022. URL : http://journals.openedition.org/communicationorganisation/1873
33- Creswell, J. W., & Creswell, D. (2014). *Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches* (Vol. 4). California: SAGE Publications, p. 6.
34- Haiying Long, (2015), Validity in mixed methods research in education: the application of Habermas' critical theory, International Journal of Research & Method in Education, Volume 40, Issue 2, [En ligne], consulté le 20 Aout 2022. URL: https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/1743727X.2015.1088518, p 6.
35- نجد ذلك عند كل من:
(Biesta 2010؛ Johnson and Onwuegbuzi 2004؛ Johnson ،Onwuegbuzi ،and Turner 2007؛ Morgan 2007).
36 - صلاح، إسماعيل، (2019)، البراغماتية الجديدة (فلسفة ريتشارد رورتي)، دار رؤية، القاهرة، ص 70.
37 - المرجع نفسه ص 71.
38 - جيمس، وليم ، (2014). البراغماتية. ترجمة وليد شحادة، دار الفرقد، سوريا، ص 53.
39 - شيريل، ميساك، (2020)، الراغماتيون الأمريكيون، ترجمة جمال شرف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ص74.
40 - المرجع نفسه، ص 75.
41 - صلاح، إسماعيل، مرجع سابق، ص 86.
42 - Rorty, R. (2000). Philosophy and social hope-Penguin . Penguin Book, London, p. 95
43 - Ibid, p. 96.
44 - مجدي، عبد الحافظ، ص 157.
45 - (Morgan, 2007, p. 68).
46 - (Morgan, 2007, p. 68).
47- David L. Morgan, (2014), Pragmatism as a Paradigm for Social Research, *Qualitative Inquiry* , 20, URL: http://qix.sagepub.com/content/20/8/1045 , p 1047
48- Ibid, p 1047
49 - (Creswell & Creswell, 2014, p. 11)

50 - خليفة، داود، (15 09، 2017)، براديغم التعقيد والفكر المركب عند إدغار موران، مجلة الحوار الثقافي، الصفحات 72-76، ص 3.
51 - المرجع نفسه، ص 3.
52 - إيغو، ألباندبا، (فيفري، 2022)، إدغار موران: أصفُ نفسي باليقظ وحتى بالحَذِر وليس بالمُتشائم. ترجمة يحيى بوافي، متاح علر الرابط: https://n9.cl/747ef، تم التصفح في: 30/ 06/ 2022.
53 - المرجع نفسه.
54 - ضربان، مريم، (2021)، الحاجة للتعايش البراديغمي في تحليل المحتوى الرقمي، مجلة رقمنة للدراسات الإعلامية والاتصالية، الصفحات 81-107، ص93.
55 - سعيد لوصيف. (2016). التفكير المنهجي في الظواهر الاتصالية: التعقيد، التجاسر المعرفي في التخصصات والتموقع الابيستمولوجي. تأليف لوصيف سعيد، و وآخرون، التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري. مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر، الجزائر، ص 43-44.
56 - ستيفان، هابر، (2019)، مدرسة فرانكفورت: مسألة المعرفة المحرِّرة، في كتاب: الفلاسفة والعلم، تحت إشراف بيير فاغنير، ترجمة يوسف تيبس، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين، ص 620.
57 - ستيفان، هابر، (2012)، هابرماس والسوسيولوجيا، ، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، لبنان- الجزائر، ص 27.
58 - فينليسون، جيمس، (2015)، يورغن هابرماس، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ص 34.
59 - المرجع نفسه، ص 34-35.
60 - عزّي، عبد الرحمن، (1995)، الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الاتصالية، دار الامة، الجزائر، 128.
61- أبو السعود، عطيات، (2021)، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين وبحوث أخر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ص 101.

62- Haiying Long, Op. cit, p 5.
63- Ibid, p 5.
64- Ibid, p 5.
65- Ibid, p 6.
66- Rodney S Whiteman , (2015),"Explicating metatheory for mixed methods research in educational leadership", International Journal of Educational Management, Vol. 29 Iss 7 pp. 888 – 903, Doi:http://dx.doi.org/10.1108/IJEM-06-2015-0077 p 896.
67- Ibid, p 894.
68- Kathleen M. Galotti, (2008), Cognitive Psychology: In and Out of the Laboratory, U.S.A, Wadsworth Publishing, p14.
69- Ibid, p17.
70-, Kathleen M. Galotti, Op. cit, pp 6-18.
71- Marc De Mey, (1982), The Cognitive Paradigm, U.S.A, Springer Netherlands, p 225.
72- Ibid, pp 225-226
73- Kathleen M. Galotti, Op. cit, p19.
74- Ibid, p20.
75- Ibid, p21.

76- Ibid, p21.
77- Ibid, p22.
78- Ibid, p24.
79- عبد الحميد،محمد، (2004)، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط3، دار عالم الكتب، مصر، ص 324.
80- المرجع نفسه، ص 331.
81- Bandura, A, (1986), Social foundations of thought and action: A social cognitive theory, Prentice-Hall, Inc. URL : https://psycnet.apa.org/record/1985-98423-000.
82- Bandura, A, (1991), Social Cognitive Theory of Moral Thought and Action, in: Handbook of moral behavior and development, edited by William Kurtines, Jacob Gewirtz, Lawrence Erlbaum Associates, New Jersey, pp 45-105.